

- من الطارق ؟

وتقول الخادمة :

- إنه « بافيل قسطنطين » . فتخرج إلى « أتبوتا أليكسيفينا » وعلى وجهها آية الشوق واللهف وتقول :

- ويلي منك يا بافيل ! ما بالك قد هجرتنا كل هذا الهجران ! هل حدث
حادث ؟ ...

وفى خلال ذلك كانت عيناها الفاترتان ، ويدها الرخصة اللدنة ، التي كانت تضعها بمنتهى الاستسلام فى يدي ، ولباسها المنزل الشفاف ، وشعرها المرسل المهدل ، وصوتها الحلو الرخيم ، وخطوها الخفيف الرشيق ، وابتسامتها العذبة الساحرة ، كل هذه الآيات الرائعات كانت ترسل فى كيانى تلك الهزة المعهودة وتبعث فى نفسى ذلك الشعور المبهم العجيب ، الخفى الجديد ، المدهش الخطير المهيّب .

وكنّا نجلس الساعات العديدة نتجاذب أطراف الحديث ، ثم يتلو ذلك الصمت الطويل ، وكلانا فى غمرات فكره ساح ، وأحيانا تعزف لى على البيانو بأشجى الأنغام والألحان ، وإن كان لديها حوائج تريد قضاءها من الخارج انطلقت ، وتركتنى أتصرف فى أرجاء البيت كما لو كان بيتى وبيت أجدادى ، وتعود فألقاها على عتبة الدار فأتناول منها ما جاءت به من متاع أو بضاعة ، فأحملها فرحا بها مسرورا حدبا عليها عطوفا ، كأنى أحمل منها طفلا لى عزيزا على ، قرّة عين وقلدة كبد !

وكانت « أتبوتا أليكسيفينا » ترق لى وترثى لى إذ تجدنى مع وفرة نصيبى من العلوم والآداب والتربية العالية ، أضيع عمرى هدرا بين أجلاف الريف فى الحقول والمزارع ، أكد وأكدح ، ولا يبدو على أدنى أثر لذلك من مال أو يسار ، لا درهم ولا دينار ، وكانت تقرأ على هيئتى آية الفقر ناصعة مبيّنة ، وتشعر أنى فى هم ناصب وكرب دائم ، وأنى ما كنت أتحدث وأضحك وأمزح إلا لأكتفم زفرات البث الذى كان يملأ جوائضى ، وعبرات البث التى كانت تشرئب أن تكف من أجفانى ، وكان يشتد كربها إذا أنست على أمارات الأسى لضائقة مالية